ردود

رداً على دراسة انكليزي عن الموقف السوفياتي: من حق الصديق علينا أن ننصفه

نشرت مجلة **شؤون فلسطينية** في العدد ١٤٨/١٤٩، تموز/آب (يوليو/اغسطس) ١٩٨٥ (ص ٢٦ ـ ٤٢)، دراسة بعنوان «موقف الاتحاد السوفياتي من القضية الفلسطينية (١٩٤٧ ـ ١٩٨٢)»، لسنثيا انكليزي، تناولت تطور السياسة السوفياتية حيال مختلف جوانب القضية الفلسطينية خلال الفترة المشار اليها ومحاولة «تقدير الأسباب الكامنة وراء المتغيرات» في هذه السياسة وتحديد مسألتين أخريين، هما: مدى مطابقة هذه السياسة للمنطلقات الايديولوجية من جهة. والمدى الذي تحرّك فيه المصالح الذاتية السياسة السوفياتية من جهة أخرى. واضافة إلى قصور هذا المنطق في تحليل وتقييم الموقف السوفياتي، فقد انطوت الدراسة، في الواقع، على العديد من المغالطات والأخطاء التي قلبت المواقف السوفياتية الفعلية تجاه مسائل عديدة إلى نقيضها وحملتها، في أماكن، أكثر مما تحتمل، اضافة إلى القصور الحاصل في التحليل والتقييم. كما ان سعي الكاتبة إلى تصيُّد المآخذ أوقعها في تناقضات عديدة فخلصت إلى استنتاجات مغايرة كلياً لمواقف موثقة.

ونظراً لموقع الاتحاد السوفياتي الذي تعتبره الكاتبة، ولو على استحياء، «أهم حلفاء الفلسطينيين» في نهاية دراستها؛ ونظراً للتجني على موقف هذا الحليف «الأهم»، وجدت من الضروري الرد عليها لسببين رئيسيين: الأول، توضيح بعض ما أغفلته، أو تغافلت عنه، الكاتبة من المواقف السوفياتية تجاه مختلف جوانب وتطورات القضية الفلسطينية خلال الفترة الزمنية المذكورة؛ والثاني، تفنيد التفسيرات والتحليلات الخاطئة التي انطوت عليها الدراسة، وتبيان قصور المنطق الذي استندت إليه في استنتاجاتها.

لقد ساقت انكليزي الكثير من الاتهامات والافتراءات إلى المواقف السوفياتية واثبتتها في دراستها كحقائق. وهذه الاتهامات ـ «الحقائق» المزعومة هي نفسها التي كانت، وما تزال، بعض الانظمة العربية تبرر بها سياسة التبعية للامبريالية، وتسعى، من خلالها، إلى عزل الشعب الفلسطيني وباقي الشعوب العربية عن حلفائها الطبيعيين. ويبدو أن البعض لم يع، بعد، تغير الزمن واتساع الاتصالات بين الناس فراح يردد الموال القديم نفسه.

لقد اصبحت اقوال وافعال الاتحاد السوفياتي معروفة ومعلومة من قبل معظم الناس وبما يكفي للدفاع عن نفسها. ومن حق الحليف، او الصديق، علينا أن ننصفه اذي تناولنا لمواقفه. وهذا الانصاف يتطلب منا محاكمة هذه المواقف والسياسات ضمن اطار ظروفها التاريخية المحددة، كشرط ضروري لتجنب الذاتية. واذا كان من الطبيعي أن تختلف مع الحليف، او الصديق، في هذا الموقف او ذاك، او تجاه هذه السياسة او تلك، فإنه من غير الانصاف، أبداً، أن نجعل الشوائب تطغى على الجوهر، وان نحمِّل المواقف ما ليس فيها، وان نواجه، بالشك، كل ما نختلف معه. فمن حق الحليف علينا، ايضاً، أن نتفهم مواقفه والدوافع الكامنة وراء تلك المواقف.

لقد ذهبت الكاتبة في بداية دراستها إلى توجيه الاتهامات إلى الموقف السوفياتي من مسألة المشروع الصهيوني في فلسطين قبل، وبعد، انشاء اسرائيل، وتغافلت عن ذكر شيء عن الموقف السوفياتي تجاه

شؤون فلسطينية، العدد ١٥٢ ـ ١٥٣، تشرين الثاني/كانون الأول (نوفمبر/ديسمبر) ١٩٨٥